المقدمة العامة للكتاب
الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله، ورضي الله عن أصحابه البررة الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلعل أحدا لا ينكر أن التقدم المادي الذي ننعم به اليوم هو من إنتاج التقدم الفكري. كما أن -أيضاً- أحدا لا ينكر أن الارتجال من طبيعته أن لا ينتج، في الغالب، إلا عملا أهوج، قليل الفائدة.

أما التفكير العلمي المقنن والتخطيط المسبق فهما اللذان يرفعان من مستوى الإنتاج الفكري. والإنتاج الفكري المتقدم، سواء في مجال العلوم الطبيعية أم العلوم الإنسانية، فهو الأساس للتقدم المادي. وإذا لم نرفع من مستوى إنتاجنا الفكري فيما يتصل بعلوم فرض الكفاية فلن نحصل على إنتاجه المادي، إلا أن نكدح ثم ندفع بعرق جبيننا إلى من يملكون الإنتاج المادي ثم نكون أسرى لهم.

والأسر هنا يظهر في صور متعددة منها: أن نضطر إلى ائتمانهم على موادنا الخام ليستخرجوها لنا، وقد يسرقون منها دون أن ندري أو أن نملك وسيلة مضمونة تمنع ذلك، أو ليحصلوا عليها بثمن بخس ثم يردونها إلينا مصنعة بأثمان باهظة. ثم لا نستغني عنهم للعناية بها وصيانتها حتى تبقى صالحة للاستعمال. والأسر يظهر أيضاً في الاعتماد شبه الكلي على منتجي المواد المتطورة للحصول على وسائل الحفاظ على الرخاء الاقتصادي وعلى رغد العيش، بل وللحفاظ على حياتنا وأمننا وكرامتنا.

ولكي نرفع من إنتاجنا الفكري لا بد أن نرفع من مستوى الأبحاث العلمية

التي نقوم بها. وذلك لأن الإنتاج المادي الذي لا نستغني عنه في هذا العصر لا يشبه الحمير والبغال التي خلقها الله وسخرها لنا جاهزة للاستعمال ولا تحتاج إلى خبرات متخصصة عالية ومتقدمة للعناية بها.

فالأبحاث العلمية الجيدة في مجال العلوم الطبيعية كانت سببا في تقدم الصناعة والزراعة وغيرها من مستلزمات الحياة المادية. والأبحاث العلمية الجيدة في مجال العلوم الإنسانية كانت سببا في تقدم أساليب الإدارة والتسويق اللازمة للتقدم المادي.

وفي الوقت الذي تسهم فيه المعلومات النظرية في بعض مجالات المعرفة إسهاما كبيرا، فإنها لا تسهم إلا بقدر ضئيل في مجالات أخرى للمعرفة، ومنها مجال البحث العلمي.

ومن هنا كانت الحاجة إلى كتب تتناول موضوع البحث العلمي بأسلوب يعتبر المعلومات في مجال البحث العلمي معلومات **ذات طبيعة عملية تطبيقية إرشادية**، بدلا من اعتبارها معلومات تحصل الفائدة منها بمجرد تخزينها في الذاكرة أو الكتب أو ترديدها وتكرارها في الفصول الدراسية أو في الكتب الجديدة.

أهداف الكتاب وقيوده:

إن الهدف الأساس من وضع هذا الكتاب هو الخروج بعمل تعليمي، يبسط القواعد الأساسية للأبحاث العلمية. كما يهدف إلى توفير كتاب يصلح لأن يكون مرشدا عمليا وتطبيقيا للباحثين، وعونا لمدرسي القواعد الأساسية في البحث الجاد.

فهو تجميع لمعلومات شائعة تتناقلها كتب البحث العلمي في مختلف المجالات؛ لا نعرف كثيرا من مصادرها الأصلية. والكتاب أيضاً استنتاج من هذه المصادر العديدة، وترجيح لبعض أفكارها، وتعديل للبعض الآخر وهو أيضاً اقتراح لأفكار

نبعت من واقع التجربة الذاتية للمؤلف، خلال فترة الدراسة العليا، في بعض الجامعات الأمريكية، ومن استقراء الأبحاث العلمية الجادة ومن حضور الندوات العلمية والمشاركة في بعضها، ومن الأبحاث التي قام بإعدادها في موضوعات ومجالات متعددة وبمناهج متنوعة، ومن الخبرة التي تم اكتسابها في تدريس مواد البحث العلمي، والأبحاث التي قام بتقويمها أو مناقشتها أو بالإشراف عليها.

ولهذا فإن الهدف الرئيس للتأليف في هذا المجال ليس التأصيل أو اكتشاف الأشياء المجهولة أو الجديدة. وإنما الهدف الرئيس هو التجميع والتنسيق والتفسير والترجيح وإعادة الصياغة لكثير من المعلومات الشائعة.

وسيكون مركز عناية الكتاب القواعد الأساسية للأبحاث العلمية المقننة empirical research، وليست قواعد إعداد المداخل introductions، أو قواعد إعداد الكتابات الموسوعية. وبعبارة أخرى، ليس من أهداف الكتاب التعريف بطرق إعداد كتب المداخل، أو الكتابات الموسوعية التي لا يشترط فيها التأصيل، بمعنى الإضافة إلى مجال التخصص وتحقيق السبق فيه.

ومع أن أمثلة الكتاب معظمها للأبحاث في مجال الاتصال البشري، فإن الكتاب يهدف إلى خدمة التخصصات كافة في مستوى القواعد الأساسية للبحث العلمي في مجالات العلوم المختلفة، ولاسيما العلوم الإنسانية. فجميع العلوم على اختلاف أنواعها، تشترك في معظم القواعد الأساسية للبحث العلمي.

وليس من اهتمامات الكتاب التطورات التاريخية للبحث العلمي وما يتصل بها من معلومات نظرية، قليلة الصلة بالجانب التطبيقي.

منهج التأليف:

للأسباب المتقدمة، فقد تم مراعاة بعض القواعد عند اختيار المادة العلمية وعرضها، ومن هذه القواعد ما هو عام، ومنها ما هو خاص بالمصطلحات، ومنها ما هو خاص بطريقة توثيق المراجع، ومنها ما هو خاص بأسلوب صياغة

التمرينات، وطريقة الاستفادة من الكتاب.

قواعد عامة:

١- محاولة تقديم القواعد الأساسية للبحث العلمي في صيغة تطبيقية.

٢- محاولة الاختصار قدر الإمكان، مع ضمان عدم الإخلال بالمعلومات الأساسية.

٣- محاولة الاقتصار على المعلومات الإجرائية والعملية، واستبعاد المعلومات التاريخية والنظرية التي لا تخدم الجانب التطبيقي بقدر كاف.

٤- محاولة بيان الخطوات التفصيلية أو القواعد الدقيقة الإجرائية مثل: خطوات ومعايير تضييق موضوع الدراسة أو تحديد مشكلتها، أو طريقة استعراض الدراسات السابقة.

٦- محاولة الربط بين ما يتصل بهذا المجال مما هو موجود في المصادر الإسلامية أو جهود العلماء المسلمين الأقدمين من جهة، وبين الجهود الحديثة لعلماء الغرب من جهة أخرى.

٧- محاولة تبسيط القواعد قدر الإمكان، كما هي الحال مثلا، في قواعد الحواشي والتوثيق، وذلك بالاجتهاد في تفصيلها وتجزئتها إلى خطوات أو فقرات صغيرة.

٨- قد يؤكد المؤلف أهمية بعض الأفكار ذات الصلة بخطوات البحث أو عناصرها لأهميتها في نظره دون أن يجد اهتماما مشابها في المصادر التي استفاد منها، وذلك بناء على استقراءاته الشخصية وخبراته. ويظهر التأكيد في صور متعددة، من أبرزها عملية التكرار لهذه الأفكار.

المصطلحات:

لقد بدا واضحا من استعراض الكتابات العديدة والاستعمالات الكثيرة لبعض المصطلحات الرئيسة أن هناك تعددا في مدلولاتها وغموضا. لهذا حرص المؤلف

على توضيح هذه المصطلحات وإزالة الغموض عنها وبيان أوجه الشبه والاختلاف بينها. وعند القيام بذلك فقد حاول المؤلف الالتزام بالقواعد التالية:

١- من المعلوم أن مصادر البحث العلمي تتعدد فيها مدلولات المصطلحات والمفاهيم أو المفردات بحسب اختلاف الأزمان والخلفيات البيئية التي نشأت فيها ونمت. لهذا كان موقف المؤلف من هذا التعدد في المدلولات هو اختيار أحدث المدلولات وألصقها بواقع اليوم وأكثرها شمولية. وقد تم الاعتماد في ذلك على المعاجم الحديثة، أو كتب البحث العلمي الحديثة الأصلية، أو الاستقراء من استعمالاتها في الأبحاث الأكاديمية المُحكّمة. وقد يختار المؤلف معنى معينا لمفهوم محدد أو لمصطلح، رغم كون المعنى غير سائد، ولكنه يبدو منطقيا من وجهة نظر المؤلف.

٢- محاولة تحرير مدلولات المصطلحات ولاسيما المتشابهة في الظاهر أو في جوانب كثيرة ولكنها مختلفة عن بعضها في الحقيقة، وفي مستوى التفاصيل. مثال ذلك: مصطلح "المقدمة"، ومصطلح "التمهيد" ومصطلح "استعراض الجهود السابقة" أو literature review والتي تترجم إلى "أدبيات البحث" أحيانا.

٣- محاولة تشريح بعض المصطلحات، مثل مصطلح "التحليل"، للوقوف على عناصرها الأساسية ومكوناتها الجزئية.

٤- محاولة توضيح العلاقة بين المفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة، مثل: المفاهيم، والمتغيرات، والاحتمالات، والفرضيات، والنظريات، والقوانين الطبيعية أو السنن الكونية.

٥- الاقتصار في استعمال كلمة "استقراء" على ما فيه الخروج بقاعدة عامة أو حقيقة عامة من شواهد متعددة أي من حقائق جزئية متعددة متماثلة. والاقتصار في استعمال كلمة "استنباط" على فيه الاستنتاج من الحقائق العامة

أو المُسلّمات للوصول إلى حقائق جزئية فرعية. وبالتالي اعتبار كلمة "استنتاج" عامة تشمل الاستقراء والاستنباط.

٦- التقريب بين مفردتين مختلفتين، لفظا ولكن متفقتين معنى مثل كلمة "قياس" وكلمة "استنباط". فكلتاهما تدلان على عملية الحصول على حل للمشكلة الجزئية بالاستنباط من حقيقة، تُعتبر عامة ولو نسبيا، إما بأمر رباني (إرادة تشريعية)، أو سنة كونية (إرادة كونية)، أو لاتفاق بشري.

٧- محاولة إبراز الفروق بين الأسماء الشائعة لبعض المناهج المتقاربة في السمات العامة، المختلفة في التفاصيل. ومثال ذلك عند الحديث عن الدين التمييز بين الأقوال أو الأفعال أو التقريرات التي أصلها رباني، وبين تلك التي أصلها اجتهادات بشرية محضة، تقبل الصواب والخطأ.

طريقة التوثيق:

إن كثيرا من المعلومات المتضمنة في الكتاب تعتبر معلومات شائعة وتراكمات لجهود متتالية يصعب نسبتها إلى أفراد محددين. كما أن المبادئ الأخلاقية قبل الأمانة العلمية تقتضي توثيق المعلومات وأحيانا الأفكار التي استوحاها المؤلف من المصادر المختلفة، لهذا فقد حاول المؤلف اتباع القواعد التالية في توثيق معلومات الكتاب.

١- الاقتصار على إيراد أسماء بعض المراجع التي يمكن أن يعود إليها القارئ للحصول على معلومات مماثلة أو أكثر تفصيلا، أو على جزء من المعلومات التي تم تضمينها في الكتاب. وذلك بالنسبة للمعرفة ذات المصادر المجهولة التي تناقلتها الكتب، ويتكرر ظهورها بصيغ مختلفة، تتراوح في درجة تفصيلها، ووضوحها، أو درجة انتمائها للمعرفة النظرية أو التطبيقية.

٢- من المعلومات التي أصبحت شائعة وتتكرر في أكثر من مرجع بالمضمون نفسه والشكل أو بالمضمون فقط، مثل المعادلات في علم الإحصاء

وجداول التوزيع المختلفة (الطبيعي و"تي" و"زي"...). لذا استفاد المؤلف من أكثر من مرجع واحد فيما عدا الجداول العشوائية التي اقتطعها من كتاب "قلاس" و"ستانلي"، وجدول توزيع "إف" المأخوذ عن "هويل".

ومن هذه المعلومات الشائعة مثلا: القول بأن هناك أدلة عقلية وأخرى نقلية، والقول بأن هناك اقتباسا حرفيًّا (مباشر) أو اقتباسا بالمعنى (غير مباشر)، والقول بأن هناك منهجا وصفيا، واستنباطيا، واستقرائيا. وربما أضيف إلى اسم المرجع أرقام الصفحات التي تحتلها تلك الاقتباسات في تلك المراجع، إذا اقتصر المرجع على معالجة الموضوع في جزء منه فقط.

٣- تحديد المرجع ورقم الصفحة التي يتم الاقتباس منها، سواء أكان الاقتباس حرفيا أم بالمعنى، بالنسبة للنقاط التي يتم التأكد من مرجعها الأصلي.

ويلاحظ أن العملية كلها تخضع للاجتهاد البشري غير المعصوم، ولاسيما مع شيوع عملية النقل الحرفي من المراجع الأصلية بدون توثيق، وذلك بصرف النظر عن كون سبب عدم التوثيق هو الإهمال، أو النسيان، أو عن قصد.

٤- عدم إثبات الكتب والمقالات التي لم يعد إليها المؤلف أو يطلع عليها.

٥- قد يستنتج المؤلف أو يستلهم من مجموعة أفكار متناثرة في صفحات متعددة من مرجع واحد أو من مصادر متعددة، فيثبت تلك المصادر باعتبارها مثيرات لتلك الأفكار، وليس لأن تلك المعلومات موجودة بالصياغة نفسها في تلك الصفحات أو المراجع مجتمعة. فتلك الأفكار غالبا ما تكون من نِتاج الاطلاع على تلك المراجع مجتمعة، مضافا إليها التجارب الشخصية للمؤلف وتصوراته. وما يستلهمه قد يكون مشابها لبعض الموجود في تلك المراجع، أو مختلفا عنه أو معارضا له.

٦- سوف يقتصر المؤلف على اسم الشهرة عند التوثيق في الحاشية، مع تزويد

القارئ بمعلومات النشر الكاملة في قائمة المراجع.

٧- الإحالة إلى الفصول والمباحث الأخرى في الكتاب تتضمن الإحالة إلى مراجعها أيضاً.

٨- المراجع التي وردت في حواشي الملاحق (نماذج دراسات سابقة ومناهج بحث) لم يتم إثباتها في قائمة المراجع، وذلك لأنها ليست ذات صلة وثيقة بموضوع الكتاب.

التمرينات:

لا يشك تربوي في أن التمرينات جزء لا يتجزأ من الكتاب التعليمي ولاسيما في مجال المعرفة التطبيقية. ولهذا فقد وضع المؤلف عددا من التمرينات في نهاية كل فصل من فصول الكتاب، يتناول موضوعا من موضوعاته. وقد حاول المؤلف عند وضع التمرينات ملاحظة الشروط التالية، كلها أو بعضها حسب طبيعة الموضوع:

١- أن تحث القارئ والطالب على الاعتماد على الفهم والالتصاق بالواقع، وذلك بمطالبته بأمثلة من عنده، ومن الواقع وليس من الكتاب، أو مما أشار إليه المدرس أثناء الدرس.

٢- أن تكون ذات طبيعة إجرائية عملية، أي ليست ترديدا أو استرجاعا محضا لما هو موجود في الكتاب.

٣- أن تحث القارئ على التفكير المستقل بمطالبته بالأدلة العقلية، وتشجيعه على عرض أفكاره المستقلة ما دام يعرضها مقرونة بأدلتها. فليس من مصلحة أي أمة أن تربي أبناءها على أن المعرفة الصحيحة ذات وجه واحد فقط، في كل شيء. ويقول أحد التربويين: إن الإنسان يمر بثلاث مراحل تعليمية: في المرحلة الأولى يظن أن ما تعلمه هو كل ما هو موجود من المعرفة في ذلك المجال المحدد. وفي المرحلة الثانية يكتشف أن هناك آراء متعددة وقد تكون

متضاربة فيظن أن الصحيح هو ما تعلمه هو. وفي المرحلة الثالثة، مرحلة النضج، يدرك طالب العلم أن الصواب، في معظم الأمور، يظهر في صور متعددة مقبولة، ولكن هناك صورة واحدة مرجحة عند كل إنسان. وهذه الصورة المرجحة ينبغي أن تعتمد على الدليل وقوته، وليس على التحيزات الشخصية ودرجة الحماس في التعبير عنه أو كثرة أنصاره.

٤- أن تحث القارئ على البحث في المراجع بمطالبته بالأدلة النقلية.

٥- أن تصلح بعض هذه التمرينات لأن تكون أسئلة للاختبارات الصفية، وإن كانت قليلة. ومع هذا فإن معظمها يمكن أن يصبح صالحا للاختبارات الصفية بإلغاء الجانب العملي، أو ببنائها على التمارين التي سبق تكليف الطالب بها.

وقد ظهر معظم أجزاء مسودة الكتاب لأول مرة، قبل عشرين عاما، في صورة مذكرات لطلبة الدراسات العليا ثم لطلبة الدراسات الجامعية أيضاً بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية، سابقا، وكلية الدعوة، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفرع جامعة طيبة بالمدينة المنورة، حاليا. وقد أخذت هذه المسودة تنمو وتتطور مع كل فصل دراسي جديد، ومع كل دفعة جديدة من الطلبة والطالبات، وإعادة القراءة والاطلاع على المزيد من المصادر وتنفيذ المزيد من الأبحاث.

الجديد في الطبعة الثانية:

وتم في هذه الطبعة تصويب بعض الأخطاء المطبعية التي كانت في الطبعة الأولى، وتحديث أو تعديل أو استبدال بعض الأجزاء، ولاسيما في الباب الرابع الخاص بالتحليلات الإحصائية. فقد تمت إضافة طريقة استخدام برنامج إكسيل Excel لعمل الرسوم البيانية. كما تم حذف المعادلات التي لا تفيد غير المتخصص، والطرق اليدوية لإجراء بعض الاختبارات الإحصائية. وتم تقديم بعض

الإرشادات لإجراء هـذه الاختبـارات ببرنـامج إس بي إس إس SPSS 15.0 للتحليلات الإحصائية. وأضيف أيضاً الفصل الثلاثون لتوفير بعض الإرشادات في طريقة الاختصار والتلخيص. وتم استبدال نموذج الدراسة المكتبية الحديثة بنموذج الدراسة المكتبية الذي كان موجودا في الطبعة الأولى. وهو بعنوان "الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين".

طريقة الاستفادة من الكتاب:

لقد تم تصميم الكتاب بحيث يمكن الاستفادة منه أو بأجزاء منه في المراحـل الدراسية المختلفة: ما قبل الجامعية والجامعية والعليا.

فالفصل التاسع والعشرون تم إعداده لمصلحة الطلاب في المراحل مـا قبـل الجامعية والجامعية. فهو يصلح لأن يكون مذكرة مختـصرة في كيفيـة إعـداد البحيثات التدريبية، سواء المكتبية أو الميدانية. وهذا الفصل وإن كـان يكفـي مذكرة للطالب أو الطالبة فإن المدرس لابد له من الرجوع إلى بعض الفـصول الأخرى في الكتاب لتصبح لديه القدرة الكافية لـشرح وتوضـيح مـضموناته للطلاب.

أما الفصول الأخرى فقد تناولت الموضوعات المعالجة بشيء من التفـصيل، بحيث يلبي احتياجات الأبحاث الأكثر جدية في المرحلة الجامعية والعليا. ومع هذا فإن المدرس يستطيع الاقتصار على التقسيمات الرئيسة للموضوع، دون الخوض في التفاصيل، عند تدريس تلك الموضوعات للمبتدئين. ومثال ذلـك أن يعطـي الطلبة فكرة عن التقسيمات الرئيسة لمضمونات الأسئلة وصياغتها عند الحـديث عن وسائل جمع المادة العلمية، والتجاوز عن التقسيمات الفرعية أو بعضها، سواء من حيث المضمون أو الصياغة. ومثال ذلك أيضاً أن يقصر المعلومات في التحليل الإحصائي على الجدولة والرسوم البيانية، دون الخوض في مقاييس النزعة المركزية والتشتت والارتباط أو التباين.

كما يمكن للمدرس أن يتخيّر الفصول والمباحث التي يحتاج إليها بالنسبة لفئة محددة من الطلبة والطالبات أو في منهج محدد. ومثاله أيضاً أن يقتصر على الفصول والمباحث والفقرات الخاصة بالأبحاث المكتبية والأسلوب الكيفي، وأن يتجاوز الفصول والمباحث والفقرات الخاصة بالدراسات الميدانية والأسلوب الكمي أو العكس.

وفي هذا العصر، عصر التخصص ليس عيبا أن لا يفهم المدرس المتخصص في الدراسات المكتبية بعض أجزاء الكتاب، كتفاصيل الوسائل المستعملة في الأسلوب الكمي (العمليات الإحصائيات ومعادلاتها...). ولكن من المستحسن أن يُلمِّ بفكرة عنها، وإن كانت سطحية لا تكفي للتطبيق. بل إن كثيرا من الباحثين الذين يستخدمون الأسلوب الكمي يعتمدون على بعض المتخصصين في التحليلات الإحصائية. وهذا أمر يخضع لأنظمة الجامعات ومراكز البحوث، ولكن من المؤكد أن المستعمل للأسلوب الكمي ينبغي أن يعرف ما في الكتاب مما قد يندرج تحت الدراسات المكتبية مثل طريقة استعراض الدراسات السابقة. وهناك أجزاء في الكتاب مشتركة بدرجة متساوية بين المستعملين للأسلوب الكمي والكيفي.

ولا يفوتني في نهاية هذه المقدمة أن أقدم شكري لكل من أسهم برأي، أو عمل، أو بدعاء، أو بتشجيع لإنجاز هذا العمل. وأخص بالشكر بعض طلبتي الذين كانوا يكثرون من الأسئلة الذكية، وكل من استفدت من مساهماته في هذا المجال. والفضل والشكر لله من قبل ومن بعد، إذ يسر لي إنجاز هذا الكتاب بالصورة التي هو عليها ويسّر لي مختلف المساعدات لإتمامه. كما أحث كل ذي غيرة على المعرفة النافعة أن لا يبخل عليّ بالتنبيه إلى ما يعتبره من السلبيات. فهذا العمل، وإن بذل فيه صاحبه قصارى جهده، فإنه بعيد عن العصمة من الخطأ. وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل كل من يريد العزة للحق ويريد السعادة للبشرية.

وأخص بالشكر أخي الدكتور عبد الله بن ضيف الله الرحيلي والأستاذ محمد همام بن مصطفى الأماسي لقراءتهما الدقيقة للطبعة الثانية وتقديهما المقترحات، ولاسيما اللغوية الضرورية والجميلة.

كما أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات كل من أسهم في تطويره بأي شكل من الأشكال، وفي ميزان حسنات كل من لقي شيئا من العناء بسبب انهماك المؤلف في إنجازه.

سعيد إسماعيل صيني

١٤١٤/١٢/١٤هـ

تم تعديله في ١٤٣٠/٠٤/٢٢هـ

الموافق ٢٠٠٩/٠٤/١٧م

المدينة المنورة